Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

النظام الإعلامي الدولي الجديد

مقاربة في مدارس ونظريات التدفق الإعلامي

New international media order

School approach and theories of media flow

عبد الله ثاني قدور ABDALLAH TANI Kaddour
جامعة وهران01 أحمد بن بلة، مخبر الاتصال الجماهيري وسيميولوجية الأنظمة البصرية univ-oran1
Abdallahtani.kaddour@univ-oran1.dz

تاريخ الاستلام : 2019-06-08 تاريخ القبول : 2020-10-20

ملخص:

كانت ولا تزال مشكلة التدفق الإعلامي الدولي-وإلى غاية العشرية الأولى الراهنة من القرن الواحد والعشرين-تعتبر مدخلا دراسيا إعلاميا هاما وحاسما للفهم جيدا لاستراتيجية النفوذ والهيمنة الإيديولوجية للدول العظمى على الدول الضعيفة البلدان الغربية الصناعية العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية؛ وفور انتهاء الحرب العالمية الثانية ومراعاة لأهمية هذه المشكلة الاتصالية الإعلامية؛ أخذت تتنافس على تطوير تكنولوجيا الاتصال والإعلام حتى يتسنى لها بواسطتها اقتحام مجال الاتصال الدولي والذي عبره تروج أيديولوجيتها المكرسة لخدمة أهدافها الاستراتيجي يجد الباحث الموضوعي نفسه أمام اقترابه من النظام الإعلامي الجديد؛ في حيرة أمام التفسيرات المقدمة بشأنه؛ إذ هي متعددة ومتباينة وبعضها "اتسم بالتحيز الواضح لخدمة تفسيرات واتجاهات إيديولوجية معينة حفزت مزيدا من النقاش والجدل، في حين اتخذ بعضها الآخر موقف الهجوم العنيف على شكوى الدول النامية ومطالبها. بدأ الاهتمام بهذا المفهوم الجديد؛ وما ترتب عنه من انعكاسات على الدول الهامش رسميا سنة 1973؛ في مؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذي انعقد بالجزائر وهو أول اجتماع أثارت فيه هذه الدول المشكلة بصورة محددة وعبرت بقوة عن اهتمامها المشترك بالمعلومات.

كلمات مفتاحية: النظام الإعلامي، الدولي الجديد، مقاربة، مدارس ونظريات، التدفق الإعلامي، تكنولوجيا الاتصال والإعلام، الدول العظمى، الدول الضعيفة.

Abstract :

The Problem of the international Media flow - and until the present first decade of the 21st century - has been an important and decisive media outlet for a good understanding of the strategy of influence and ideological hegemony of the superpowers on the weak states of the great industrialized Western countries, led by the United States of America; Taking into account the importance of this media communication problem, it has been competing for the development of communication and Information technology so that it can penetrate the field of international communication through which it promotes its ideology dedicated to serving its strategic objectives The same objective researcher finds himself in the face of his approach to the new media system; he is puzzled by the interpretations given to him; they are multiple and different, some of them "marked by a clear bias to serve certain ideological interpretations and tendencies that stimulated further debate and debate, while others took the position of violent attack on the complaint of developing countries And its demands began to take care of this new concept; and the consequent repercussions on the States marginally in 1973; at the summit of non-aligned countries, which was held in Algeria, the first meeting in which

these countries raised the problem of specific and strongly expressed their common interest in Information

Kywords: The new media system, approach, schools and theories, media flow, communication and media technology, superpowers, weak states.

1. مقدمة

كانت ولا تزال مشكلة التدفق الإعلامي الدولي-وإلى غاية العشرية الأولى الراهنة من القرن الواحد والعشرين-تعتبر مدخلا دراسيا إعلاميا هاما وحاسما للفهم جيدا لاستراتيجية النفوذ والهيمنة الإيديولوجية للدول العظمى على الدول الضعيفة.

البلدان الغربية الصناعية العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية؛ وفور انتهاء الحرب العالمية الثانية ومراعاة لأهمية هذه المشكلة الاتصالية الإعلامية؛ أخذت تتنافس على تطوير تكنولوجيا الاتصال والإعلام حتى يتسنى لها بواسطتها اقتحام مجال الاتصال الدولي والذي عبره تروج أيديولوجيتها المكرسة لخدمة أهدافها الاستراتيجية.

يجد الباحث الموضوعي نفسه أمام اقترابه من النظام الإعلامي الجديد؛ في حيرة أمام التفسيرات المقدمة بشأنه؛ إذ هي متعددة ومتباينة وبعضها "اتسم بالتحيز الواضح لخدمة تفسيرات واتجاهات إيديولوجية معينة حفزت مزيدا من النقاش والجدل، في حين اتخذ بعضها الآخر موقف الهجوم العنيف على شكوى الدول النامية ومطالبها"[(1)].

بدأ الاهتمام بهذا المفهوم الجديد؛ وما ترتب عنه من انعكاسات على الدول الهامش رسميا سنة 1973؛ في مؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذي انعقد بالجزائر وهو أول اجتماع أثارت فيه هذه الدول المشكلة بصورة محددة وعبرت بقوة عن اهتمامها المشترك بالمعلومات" [(2)]". ولم تجد هذه المطالبة استجابة إيجابية في الدول المتقدمة التي اتفقت على أنها تحد خطير لسياسة التدفق الحر للمعلومات، ثم سرعان ما تحولت إلى مواجهة عنيفة بين الدول المتقدمة والدول النامية وبين الباحثين ورجال الأعمال أنفسهم كل يدافع عن اتجاهات ومطالب العالم الذي ينتمي إليه؛ ولم تخل المواجهة من وجود علماء الإعلام في الغرب متعاطفين مع مطالب الدول النامية واستعدادها لمساعدتها في تنمية قدراتها الفنية والمهنية "[(3)]

2. المحتوى العام لوثيقة " اليونسكو":

منظمة اليونسكو ومن خلال الادارة الخاصة - الاتصال والثقافة-التي أقامتها خصيصا "لدراسة معظم المشاكل المتعلقة بالاتصال في المجتمعات المعاصرة " [(4)]. الأعضاء الستة عشر للجنة الدولية " الممثلين بشكل كاف للجوانب الإيديولوجية: السياسية، الاقتصادية، الجغرافية للعالم " الذين اختاروا مسبقا أن يتموقعوا حول رؤيا عريضة تاريخية وسياسية واجتماعية. فحص هؤلاء الأعضاء وبالأغلبية للوضع الراهن للنظام الاعلامي الدولي أفضى إلى الحكم عليه بالغير مقبول ويتطلب صياغة مبادئ كبرى موجهة من أجل إقامة نظام دولي جديد " [(4)]. للإعلام والاتصال" [(5)] أكثر عدلا وفعالا «ويتمثل أساسا في تفاعلية أكثر في تبادل المعلومات أقل تبعية تجاه التيارات المهنية للاتصال وأقل توزيعا للرسائل الإعلامية من الأعلى نحو الأسفل؛ أكثر اكتفاءا ذاتيا وهوية ثقافية (للدول المختلفة الوطنية والمحلية أكثر مزايا للإنسانية جمعاء" (5).

3. ردود الأفعال تجاه وثيقة "اليونسكو":

مشروع إقامة نظام دولي للإعلام والاتصال جديد؛ الذي وضعته اليونسكو "لم يسلم برغم كفاءة واضعيه وصدق طروحاته من انتقادات وانتقادات مضادة نظرا لما يثير من قضايا وما قد ينجم عنه من تضحيات. ولعل قضية التدفق الحر للمعلومات (أو مبدأ الإعلام العالمي) إحدى تلك القضايا التي فجرت النقاش داخل اليونسكو". [(6)]

بصفة عامة فان المبادئ السياسية للنظام الإعلامي الدولي التي أفضت إليها "اليونسكو " لقيت في إقرارها نوعين من ردود الفعل ؛ الأول والممثل من طرف الولايات المتحدة الأمريكية و بعض البلدان الأوربية تمسك بالرفض

القاطع لمشروع هذا النظام إن كان سيكرس في نظرهم –الرقابة و إغلاق الحدود و إعاقة سريان الخبر ،لأن ذلك من شأنه إذ يخنق الحقيقة و يمنع تداولها و يعرض حرية الإعلام والإتصال للخطر."[7] وهو ما حصل فلما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تغطي ربع ميزانية اليونسكو فقد قررت الإنسحاب منها؛ و تبعتها بريطانيا؛ بحجة أنها أصبحت واجهة للدعاية الشيوعية ليس إلا ".

أما الموقف الثاني المتمثل من طرف الدول الإشتراكية سابقا، المتبني لمطالب دول العالم الثالث؛ مع بعض الإختلافات الطفيفة حول الحق في الإتصال مثلا الذي ترى فيه الدول الإشتراكية مطلبا سابقا لأوانه نظرا لعدم تبنيه لحد الآن من طرف المنظمات الدولية أو التحفظات المنطقية؛ كمطالبتها بضرورة ترسيخ بناء الهياكل الإعلامية و الإتصالية الوطنية لدول العالم الثالث (...) وهكذا بقي النظام الإعلامي الدولي منبرا دوليا يفتقر إلى الإلزامية معلقا منذ 1986 .بين من يعتبره إيديولوجيا وبين من يعتبره إيديولوجيا".

4. **نقد "شلليز" لوثيقة ماكبريد:**

لقي تقرير ماكبريد المتعلق بالمبادئ السياسية للنظام الإعلامي الدولي الجديد نقذا من طرف الأستاذ "شلليز" خاصة فيما يتعلق بعدم حيادية تكنولوجيا الإتصال واستعمالاتها و خاصة أن توجهات البحث والتطوير التقني هي محدودة من طرف مجموعات المنافع الأكثر قوة ... واستحسن هذا الأخير تصريح هذه اللجنة الدولية عن إبدائها ملاحظة؛ أنه وفي أغلب الظروف فان إدخال التقنيات الجديدة؛ يكون متأخرا أو مؤجلا بدون تحديد، و ذلك تفاديا لتبعية حتمية تجاه البلدان الصناعية التي تحتفظ في هذه الحالات بالاستحواذ على المعرفة التقنية و مراقبة الوسائل الضرورية لتشغيل الوسائل (التجهيزات) الجديدة.

لقد اكتشف فيما بعد في خطابها نوع من الخلط الناجم عن انغلاق على ذاتيتها من خلال اعتمادها الحذر الأقصى من إدخال هذه التقنيات وفي ذات الوقت الإعتماد السريع لهذه الوسائل الجديدة من أجل إقامة البنيات الضرورية للنظام الإعلامي الجديد.

مثل هذه الصعوبة تنم يضيف شلليز إلى هشاشة أعمال هذه اللجنة: فتحليلاتها تفتقر إل التميز؛ وبهذا فهي أعمال غير قادرة على عكس ديناميكية التطور العالمي لتقنيات الإعلام والاتصال. إن هذا التطور هو محدد كلية بواسطة نظام تجاري رأسمالي يوجهه وفق منافع وأهداف الشركات المتخطية للحدود. وفي المقابل وحسب دائما هذا الناقد شيللر فإن هذه الشركات تستلهم تطوير هذه الوسائل من المتطلبات النوعية للآلة العسكرية السياسية للقوى العظمى في العالم.[8]

تجدر الإشارة إلى أن نقذ الأستاذ شيللر يندرج ضمن التوجه الذي رأى أن المبادئ السياسية للنظام الإعلامي الدولي؛ أنها لا تعدو أن تكون بمثابة مهدئات للتوجهات المتنامية الاقتصادية المهيمنة المتميزة بتسرب متعاظم في مختلف الأسواق المحلية للصناعات الثقافية الدولية (الترفيهية؛ الإعلامية والتربوية) المراقبة في أغلبيتها من طرف الشركات العابرة للقارات الأمريكية.[9]

5. **مدارس ونظريات التدفق الإعلامي الدولي**

تعتبر مسألة مناقشة المدارس والنظريات التي أسهمت في بلورة مفهوم التدفق الثقافي عموما؛ والإعلامي خصوصا؛ إلى جانب ما ترتب عنها من انعكاسات تجلت في الأطروحات الفكرية – بمثابة امتداد للجدل القائم خصوصا في مجال اختلال العلاقات بين دول المركز والهامش؛ والتي شكلت في سبعينات القرن المنصرم -القضية المركزية-في احتدام الجدل بينهما في المؤسسات والمحافل الدولية.

بتعبير أوجز فإن النظر في هذه المسألة يجعل الباحث أمام طرحين أساسين. وكلا الطرحين أنتج أعمالا وكتابات عدة أسهمت فيهما اختصاصات شتى بدءا بعلماء الاقتصاد؛ وانتقالا منه إلى مجال الفن والأدب وانتهاء بعلم الاجتماع وعلوم الإعلام والاتصال[10].

5. 1. مدرسة التبعية الثقافية والتدفق الإعلامي المختل:

ترتكز مدرسة التبعية الثقافية، أو ما تنعت كذلك بمدرسة الإمبريالية الثقافية والتي برز فيها المفكر الأمريكي: "هربرت شيللر"؛ واعتبر مؤسسا لها إلى جانب آخرين في أساسها النظري على اتجاه متميز يتجلى في رؤياها للإعلام الوافد (المواد الثقافية؛ البرامج التلفزيونية) على أنها تشكل خطرا على البلدان النامية

ومصالحها الاقتصادية وهويتها الثقافية. وأن هذا الإعلام الوافد/العابر للقارات ما هو إلا جانب من مؤامرة عظمى حيكت خيوطها من طرف الكارتلات والترسات المتعددة الجنسيات للدول الصناعية الكبرى؛ والتي على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية؛ التي ومند وضع الحرب العالمية الثانية أوزارها تحاول دون كلل تقوية نفوذها والدفاع عن مصالحها الاقتصادية في مختلف أرجاء العالم؛ وبشتى الوسائل الممكنة من تحقيق هذا الهدف الكبير؛ والذي يستلزم لنيله التأثير وتخدير العقول والقيم وأنماط التفكير؛ عن طريق توظيف وسائل الاتصال الجماهيرية.[11]

للإشارة أن تحليلات مدرسة التبعية أفادت في سبعينات القرن المنصرم دول الهامش خصوصا في فهم الاختلال الهيكلي في مجال الإعلام والاتصال؛ وذلك في الوقت الذي تأكدت لهذه الأخيرة عدم جدوى أطروحات التحديث (آرنر – ولبرشرام) في حل مشاكلها.

المحتوى التحليلي العام لهذه المدرسة الذي بلوره ("شيللر" – "تانيو فاريس"– "نورد ستريج")

ينحصر أساسا في رؤياها للاختلال الهيكلي لتكنولوجيا الإتصال والإعلام المؤسسة على اعتبارها أن "الواقع الإقتصادي لأمريكا اللاتينية وبعض بلدان إفريقيا و أسيا ؛ والذي تقابله البلدان المصنعة؛ والتي على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تشكل فئة مهيمنة تعرف بالمركز أما الباقي فيمثلون الأطراف ويتسمون بالتخلف الإقتصادي والتبعية في هذا الإطار تعني عملية إقحام بعض المناطق في النظام الرأسمالي العالمي و ما يترتب عنه من انعكاسات سلبية على الهياكل الأساسية لهذه البلدان على المستوى الإقتصادي والثقافي ... و ما يميز هذه العلاقات بين المركز والأطراف هو التبادل اللامتكافئ بحيث أن الأطراف تتخصص في إنتاج المواد الخام في حين يحتكر المركز إنتاج المواد الصناعية ويسيطر على الثروة المالية ....و تعمل بلدان المركز بالطبع على أن تستمر هذه الأوضاع بكل الطرق و تستخدم وسائل الإتصال الجماهيري و المواد الثقافية لتكرس هذه التبعية المستوى الفكري و الوجداني للأطراف التابعة ومن هنا يبرز مفهوم التبعية الثقافية " [12] الذي حدده "شيللر" وحذر من انعكاساته. فهو يرى أن الإعلام الأمريكي ومن أجل تحقيق التبعية الثقافية فإن دوره يصبح كالمدرب الفعال للمستهلكين حول العالم. ذلك أن الدعايات ذات النمط الغربي ومواد الإعلام تدفع بالتطور العالمي لثقافة المستهلك وتقدم قيما غربية والتي تميع من الهويات الوطنية".[13]

يستشف من هذا التحليل أن الإعلام الأمريكي وبفضل قدرته على الوصول إلى أطراف العالم؛ فلقد أسهم في إنشاء هويات متخطية للحدود الوطنية تعرف تحت مفهوم "الأذواق الثقافية" فالذوق هو الذي يعمل عليه؛ وعلى توحيده بغض النظر عن الحدود الجغرافية والوطنية والثقافية والوطنية، حتى تصبح أذواقا عالمية للاستهلاك وهو ما ينتج عنه مسميات موحدة لنظم حياة المستهلك كالشباب العالمي أو (الثراء العالمي) و(الثقافة العالمية) و(الحضارة العالمية).

5. 2. الإسهامات التنظيرية والرؤية النقدية المتجددة لمدرسة التبعية الثقافية

أسهم أتباع هذه المدرسة بإنجاز عدة دراسات، تميز فيها الأستاذ "هربرت شيللر" من خلال نشره لعدة مؤلفات نذكر منها "وسائل الإتصال والإمبراطورية الأمريكية"، "الإعلان والإعلام الدولي في البحوث الجارية حول العنف و السلام" و"المتلاعبون بالعقول" والإتصال والهيمنة الثقافية.

أول كتاب لهذا الناقد الأمريكي كان وسائل الإتصال الجماهيري والإمبراطورية الأمريكية "Communication And Mass American Empire" صدر له سنة 1969. فهو عبارة عن مقالات بدأت 1965؛ ويدشن لسلسلة طويلة انطلقت من البحث في التداخل للمركب العسكري –الصناعي و صناعة الإتصال وانتهت بالفضح الواضح للفضاء العمومي في الولايات المتحدة الأمريكية. قبله قام "طوماس قيباك" أستاذ بالجامعة "إلينوي" بنشر كتاب حول: الصناعة العالمية للفيلم " The International Film Industry" والذي أصبح مؤلفا تقليديا لتحليل استراتيجيات النفوذ لكبريات مؤسسة السينما طبوغرافية الأمريكية في الأسواق الأوربية مند 1945.[14]

أما ما قام به "ويلس" فتمتل في دراسة "تأثير التلفزيون الأمريكي في جنوب القارة الأمريكية مبررا أن هذا الحضور يأخذ أشكالا عديدة منها تصدير البرامج التلفزيونية والملكية المباشرة لوسائل الإعلام وخاصة محطات التلفزيون في

هذه البلدان واقتباس النمط التجاري في ملكية وإدارة محطات التلفزيون في بلدان العالم الثالث بكل ما في ذلك من سلبيات تؤثر على العملية التنموية وجعل هذه الأقطار سوقا مفتوحا لكل السلع والأفكار". [15]

كما قام "ستيوارت إيون "1976 بنشر تاريخ الآلية الإشهارية؛ والذي أصبح من بين الدراسات النادرة حول أسس إيديولوجيا الإستهلاك مرتبطة بالبعض من فكرة الديمقراطية.

كما انضم إلى هذا التيار النقذي عدة باحثين؛ ففي إنجلترا "بيتر كولدينغ" من جامعة "دي ليستر" الذي انتقد جذريا نظريات التحديث المطبقة في الإتصال و"جيرمي تونستال" الذي اثبت أن الأساس(matrice) التنظيمي لوسائل الإعلام في العالم هي عقاريا أمريكية؛ بينما "ج.أ- بويد/باريت" و"مكائيل بالمر" فتناولا هيكلية كبريات وكالات الأنباء العالمية.

وفي شمال أوروبا برز "نورد ستيرنج " و"فاريس" إذ قاما بدراسات حول التدفقات العالمية للبرامج التلفزيونية الأمريكية. وفي بلدان أوروبا وحول «كوربورات فيلاج" والقيم الإجتماعية الثقافية للمركب الإتصالي –الصناعي نجد «هاملينك" 1977.

مسألية تدفقات الأخبار حفزت الأعمال النظرية للسسيوجي النرويجي "جوهان فاقوف " 1971 حول أشكال الأمبريالية الجديدة للسيسيولوجيا الوظيفية للولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت سنة .....؛إستهلكت نهائيا مع جيل الباحثين النقديين :" باسكاولي" 1963 " شمو كلر" 1974 ،"كبريلس" 1976 " بلتران" 1976" بلتران و فوكس" 1980. [16]

عرفت المدرسة التبعية، خلال مسايرتها لتطور تكنولوجيا الإتصال والإعلام، تغيرات في أدوات نقدها للاختلال الحاصل في تدفق المعلومات بين دول المركز والهامش من عدة زوايا كان من بينها نظرية الإستعمار الإلكتروني التي نتجت كرد فعل حسب توثيقات الإعلام والإتصال لظهور التوسع الإمبراطوري أو العهد الرابع خلال فترة نهاية عقد الخمسينات وبداية عقد الستينات من قرن العشرين؛ والذي تجسد من خلال التحول ناحية الخدمات أو اقتصاد المعلومات في الغرب. وقد اعتمد اقتصاد المعلومات على وسائل الإتصال عن بعد وتكنولوجيا الكمبيوتر لنقل المعلومات. هذا الاتجاه كان يمثل تحديا للحدود الوطنية التقليدية والعوائق التكنولوجية التي تعوق عملية الإتصال. [17]

وحسب تعريف طوماس.ل.ماكفايل؛ خبير الاتصال الكندي فإن الاستعمار الإلكتروني "يمثل علاقة الاستقلال التي أرادتها الدول الأقل نموا بالغرب حيث بنيت هذه العلاقة على استيراد برامج وأدوات الاتصال جنبا إلى جنب مع استخدام المهندسين والفنيين والقواعد اللازمة. وقد أدى هذا النوع من الاستيراد إلى ظهور قيم وعادات وثقافات وتوقعات جديدة؛ تتعارض بدرجة كبيرة مع قيم الثقافات المحلية وعاداتها. ولقد تخوفت الدول الأقل نموا من الاستعمار الإلكتروني أكثر من تخوفها من الاستعمار التجاري؛ ذلك أن هذا أخيرا كان دائما يبحث عن العمالة الرخيصة بينما يبحث الاستعمار الإلكتروني ولازال عن التأثير في العقول. فالهدف الأساسي للاستعمار الإلكتروني هو التأثير في الاتجاهات والرغبات والاعتقادات وأنماط الحياة والاستهلاك. إذ أنه كلما تزايدت النظرة إلى سكان الدول الأقل نموا من المنظور الاستهلاكي فقط أصبحت السيطرة على قيم وأنماط سلوكهم مطلبا مهما للشركات متعددة الجنسيات. [18]

5. 3. مدرسة التدفق الحر "التلاقح الثقافي"

يمثل أصحاب هذه المدرسة؛ توجها مغايرا تماما لنظرية التبعية الثقافية؛ وينفي أصحابه تماما كل تآمر أو تنسيق مسبق بين الكارتلات الاقتصادية الضخمة والمؤسسات الإعلامية والثقافية التي تروج للسلع الثقافية الغربية في مختلف أنحاء العالم[19].

ينظر أصحاب هذا الطرح إلى نشاط وسائل الإعلام؛ وما تنتجه من رسائل إعلامية ثقافية على أنها مجرد نشاط اقتصادي شبيه بالأنشطة الاقتصادية الأخرى حيث تباع وتشترى السلع الثقافية في سوق عالمي متنافس. [20] بل وأبعد من هذا فإنهم يذهبون إلى أن زيادة إنتاج السلع الثقافية بنسبة معينة سيخفض سعرها لأن تكاليف إنتاج الوحدات الإضافية ضئيل جدا إذا قورن بالمبلغ الذي صرف في النسخة الأصلية. فزيادة الأرباح هو الهدف الرئيسي من وراء حرص البعض على انتشار المواد الثقافية الغربية ولا يخفي أية أغراض سياسية أو استراتيجية. [21]

ويسترسل أصحاب هذا الطرح في الدفاع عن رأيهم وفق حجج اقتصادية يرتكزون فيها على العائد المادي من وراء عمليات التصدير التي ما فتئت تنحدر خلال السنوات الأخيرة؛ فبعدما كان يمثل 60% من أرباح كبار المنتجين والموزعين الأمريكيين تدنت النسبة إلى 25% في السبعينات والثمانيات وذلك بسبب ظهور منافسين جدد.

ثم إن بلدان العالم الثالث لا تمثل إلا سوقا محدودة الإمكانيات من الناحية المادية إذ أنها لا تحتوي إلا على 25% من جمهور المشاهدين في العالم [22] كما وينظر الليبراليون؛ إلى مسألة التدفق اللامتوازن؛ على أنه ذو إيجابيات جمة من أهمها موارد للثقافات المحلية؛ واخراجها من التقوقع؛ مرتكزين في هذا على النظرية الأنثروبولوجيا "الانتشار الثقافي" والتي كان "ماكلوهان" ذاته قد تأثر بها وهو ما جعله يؤكد على «أن تقدم تكنولوجيا الإعلام يسهل نشؤ وقيام وعي جديد؛ أي التعرف على روابط عامة تبلورت في هويات وطنية ومتخطية للحدود الوطنية.

فالإعلام الاتصالي يقدم وعيا حول الأماكن البعيدة؛ والعوالم الشاسعة وبالتالي يؤدي إلى ولادة وعي ثقافي ومعرفة ثقافية جديدة.[23]

إن مثل هذه الرؤيا تبرر لدخول السلع الثقافية من دول المركز نحو دول الهامش؛ بل ويعتقد أصحابها أن بلدان الهامش وباحتكاكها مع المنتجات الثقافية الوافدة من بلدان المركز فإنها "ستتمكن في فترة لاحقة من الاعتماد على نفسها وبلورة إنتاج محلي خاص يمكن أن يصبح عنصرا مؤثرا في السوق التلفزيونية العالمية وذلك بعد اكتساب المهارات اللازمة.[24]

وقصد البرهنة على هذا الأثر يلجأ الليبراليون إلى تقديم أمثلة نجاح دول مثل المكسيك والأرجنتين (أمريكا اللاتينية)؛ وجمهورية مصرية العربية؛ التي استطاعت أن تفرض نفسها محليا وتدخل السوق العالمية[25].

بوجه أعم فالليبراليون ينظرون إلى "أن المواد الثقافية والثقافات عموما يجب أن تتنافس فيما بينها مثلها في ذلك مثل السلع التجارية العادية في الأسواق الحرة في أن تكون الغلبة للأصلح والأفضل. ويزعمون أيضا أن ما تقدمه وسائل الإعلام الأمريكية يعكس إلى أبعد الحدود الذوق العالمي؛ ولهذا من الطبيعي أن يكون الإقبال عليها شديدا.[26]

ونظرا لهذه الأسباب فنظرية "الانتشار الثقافي" تصر على فتح الحدود وفسح المجال لدخول المواد الثقافية؛ إذ تعتبر رفضها مجرد رد فعل انفعالي ضد التحديث والإبقاء على الثقافة التقليدية وهذا ما أدى بمفكري هذا الطرح إلى الاستدلال بأن التلفزيون العالمي لم يؤد إلى تعميم نماذج "دلاس" ثقافيا حول العالم. ولكن بالمقابل كان الحافز لظواهر ثقافية معقدة كما كان الحافز أيضا لإعادة تأكيد الهويات الثقافية والتمسك بها.

ولا يزال أصحاب هذا التوجه يواصلون تأكيداتهم على أن الانتشار الثقافي لا يؤثر في الثقافات المحلية (Guiberneau.M 1996) أشار إلى أن انتشار العلاقة التجارية لمطاعم (MC Donald's) حول العالم لم تؤد إلى تعميم النموذج الثقافي والاجتماعي لتلك المطاعم عالميا وعوليا (James.B 1995) إن الإعلانات في أوروبا الشرقية ما بعد الشيوعية كثيرا ما كانت محببة وملفتة للنظر؛ ولكن وسط الصعوبات الاقتصادية المستمرة تبقي الثقافات المحلية مخلصة لخصوصية مجتمعاتها والمميزات الخاصة لأيديولوجيا الاستهلاك المحلية وآثارها.[27]

خاتمة:

اتضح من خلال الرسائل البصرية الغربية الوافدة على متلقي دول الهامش سواء انحصرت في الصورة الثابتة الإعلامية، أو تعدت منها نحو الرسالة البصرية المتحركة الفيلم وخاصة منها الفيلم الأمريكي، فالكل أضحى يوظف الصورة مكرسا سننها التشكيلية ودلالتها للتعبير عن تيارات واتجاهات إيديولوجية محددة. وبفضل الزحف الإعلامي الغربي الهادر الميسر بواسطة الأقمار الصناعية والفضائيات (القنوات) والانترنيت، ووسائط نقل للمعلومات الأخرى أصبح متلقي دول الهامش في قبضة مضامين هده الرسائل البصرية الملغومة المعدة بإحكام متناهي الدقة في إخراج الصورة الحاملة في طياتها نمطا ثقافيا

واقتصاديا واجتماعيا دخيلا يراد به زعزعة منظومة القيم لهده المجتمعات.

كل هذا أصبح يتم في غيبة دول الهامش بسبب إمكاناتها الاتصالية العاجزة عن إنتاج الصورة المقاولة التي تمتلك الدرجة نفسها من القوة والتعبير التي يتوفر عليها المنتوج البصري الغربي بكافة أنواعه المستند إلى الترسانة الإعلامية الغربية (حفنة شركات إعلامية كبرى) المستحوذة على إنتاج وتوزيع المواد الإعلامية والثقافية الموجهة لتكريس الهيمنة الثقافية على دول الهامش.

إن التحليل السيميولوجي للصورة؛ كشف ولازال يكشف عن الجوانب الخفية لمضامين الرسالة البصرية الغربية؛ تلك التي ومن خلال انتقائية المرسل الغربي لها أصبحت تهدد مستقبل دول الهامش.

الصورة؛ وانطلاقا من كونها خطابا منجزا؛ أصبحت لا تعني المتعة والمحاكاة الفنية بقدر ما تستهدف الفرض القسري لمفاهيم تميلها الحاجة السياسية؛ التي ولبلوغها قد يلجأ مرسلها في معظم الحالات إلى إلغاء رموز الغير والمس بهويته.

قائمة المراجع:

1. راسم، محمد الجمال.1985. *دراسات في الاعلام الدولي*. ط1. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة. ص 20.
2. شون ماكبريد و آخرون :أصوات معددة و عالم واحد –الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .الجزائر 1981 ص99.
3. شون ماكبريد و آخرون :أصوات معددة و عالم واحد –نفس المرجع (2) ص (19) ص(20).
4. Phillipe Breton /Serge Proulx : l'Explosion de la communication édits. Casbah Alger 2000. .
5. Phillipe Breton /Serge Proulx : l'Explosion de la communication p:211
6. يحي اليحياوي: في العولمة والتكنولوجيا والثقافة / دار الطليعة للطباعة والنشر ط1 –لبنان ص 59.
7. يحي اليحياوي: في العولمة والتكنولوجيا والثقافة نفس المرجع 1 ص 60.
8. Philippe Breton / Serge Proulx: L'explosion de la communication op cit p 213
9. (2): Philippe Breton/ Serge Proulx: L'explosion de la communication op cit p 211
10. عبد الله ثاني قدور، تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها الإعلامية على دول الهامش، الصورة والاتصال، المجلد01، العدد 01، سنة 2012، ص 40.
11. د.توفيق عبد الله يعقوب: تدفق البرامج التلفزيونية الأجنبية وقضايا الإنتاج المحلي / دراسة حالة دولة الإمارات العربية المتحدة في مجلة البحوث ع 22 سبتمبر 1988. المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين. اتحاد إذاعات الدول العربية العراق ص 78
12. د. توفيق عبد الله يعقوب: تدفق البرامج التلفزيونية الأجنبية و قضايا الإنتاج المحلي / مرجع سابق ص 78 ص 79.
13. (2)،(3) : د.غسان منير حمزة سنو/علي أحمد الطراح : الهويات الوطنية و المجتمع العالمي والإعلام -دار النهضة ط1 بيروت 2002 ص150.
14. Armand et Michelle Mattelart : Histoire des : Théories de la Communication – opcit p 66.
15. د. توفيق عبد الله يعقوب: تدفق البرامج التلفزيونية الأجنبية و قضايا الإنتاج المحلي في مجلة البحوث / مرجع سابق ص80 .
16. Armand et Michelle Mattelart : Histoire des Théories de la Communication –opcit p 67.
17. (2): طوماس .ل.ماكفايل الإعلام الدولي: النظريات الاتجاهات . الملكية ترجمة د.حسيني محمد نصر/د.عبدالله الكندي . دار الكتاب الجامعي / الإمارات العربية المتحدة 2003 ص 38.
18. المرجع السابق (1) ص 39.
19. عبد الله ثاني قدور، تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها الإعلامية على دول الهامش، الصورة والاتصال، المجلد01، العدد 01، سنة 2012، ص 45.
20. انظر الصادق رابح: وسائل الإعلام والعولمة/في مجلة المستقبل العربي . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان ع/5 ص 23

21. انظر: توفيق عبد الله يعقوب . مجلة البحوث/مرجع سابق ص 80.
22. د.توفيق عبد الله يعقوب / مجلة البحوث . مرجع سابق ص 80 . ص 81
23. د.غسان منبر حمزة سنو/ د.علي أحمد الطراح . الهويات الوطنية والمجتمع العالمي والإعلام . مرجع سابق ص 153.
24. عبد الله ثاني قدور، تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها الإعلامية على دول الهامش، الصورة والاتصال، المجلد01، العدد 01، سنة 2012، ص 50.
25. د.توفيق عبد الله يعقوب / مجلة البحوث . مرجع سابق ص 81
26. د.توفيق عبد الله يعقوب / مجلة البحوث . مرجع سابق ص 81
27. د.غسان منبر حمزة سنو/ د.علي أحمد الطراح . نفس المرجع السابق ص /153/